المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.304

العدد الثاني والعشرون / كانون الأول 2023

بلاغةُ الإيجاز "شعرُ أبي تمَّام أنموذجاً"

حمد جاعد حسين الطلب

باحث في مرحلة **الدكتوراه** في جامعة الجنان– كلية الآداب– قسم اللغة العربية

بلاغةُ الإيجاز "شعرُ أبي تمَّام أنموذجاً"

الملخّص

المقدِّمة:

الحمدُ لله الّذي كَرَّمَ الإنسان، واختارَه؛ ليكونَ في الأرضِ خليفة، فخاطَب العقولَ بقرآنه، وسحرَ الألباب ببيانِه، وصلّى اللهُ على سيّدنا محمّد النّبيّ العربيّ الّذي اصطفاه اللهُ – تعالى – ليكون خاتمَ الأنبياء المبلّغَ بخاتِمة الرّسالات، وبعثَه في قومِه العرب أهلِ البلاغةِ والفصاحة والبيان. ولمّا كانت اللّغةُ وسيلةَ الخطاب والإبلاغ، اقتضت حكمتُهُ أن يجعل القرآنَ مُعجزةً ظاهرةً على مرّ الدُّهور والأيّام، فتحدّى بهِ خلقَه، وأعجزَهم بسحر بلاغتِه وبيانِه، فلم يجدوا إلى مُجاراته سبيلاً، ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرا، وأقاموا على مُحاولةِ ذلكَ أمداً طويلاً، وبعد:

وجدَ المسلمون أنفسَهم في حاجةٍ إلى تدبُّرِ القرآنِ الكريمِ وفهمِ معانيه لاستنباطِ أحكامِ الدِّين، ولمّا كان هذا القرآنُ نصّاً لغويّاً، ظهرت الحاجةُ إلى معرفةِ أصولِ اللّغةِ الّتي نزلَ بها واستقراءِ أساليبِها وطرائقِ العربِ في الكلامِ وسَننهم في تصريفِ وجوهِ القول؛ فكانَ الدّافعُ الدّينيُّ أحدَ دوافعِ ظهورِ الدّراساتِ اللّغويّة عندَ العرب، وكغيرِها من العُلوم بدأت هذه الدّراسات بملاحظاتٍ عامّة، ثمّ تطوَّرت، وتفرَّعت إلى مستوياتِ الدَّرْسِ اللُّغويّ المختلفة، ومنها المستوى البلاغيُّ، حتّى صارَ علمُ البلاغةِ علماً مستقلّاً، لهُ أصولُه وقواعدُه، وعلَت مكانتُه بين علوم اللّغة؛ إذْ صار من العلوم الّتي لا بدَّ أن يعلمَها المُفسّر والفقيهُ والمجتهد.

وكان (الإيجازُ) من ظواهر لغة العرب الّتي استنبطَها البلاغيّون، فتناولوها في مُصنَّفاتهم، وتتبّعوا أمثلتَها في نماذجَ من الكلام نثرِه وشعرِه، كالقرآن الكريم وقصائدِ الشّعراء وخُطَب الخُطباءِ وأمثالِ العرب، وبيَّنوا ما في الإيجاز من أثرٍ في تحسين الكلام وإضفاءِ الجمال على القول.

وهذا بحثٌ أتناولُ فيه ظاهرةَ الإيجاز بنوعَيه: الحذف والقصر، وقد جعلت هذا البحثَ في قسمَين؛ فأمّا القسمُ الأوّلُ فقسمٌ نظَريٌّ، بيّنتُ فيه مفهومَ (الإيجاز) عند البلاغيّين، وذكرت نماذجَ من تعاريفِهم له وكلامِهم على ما لهُ من أثرٍ جماليّ؛ وأمّا القسم الثّاني فقسمٌ تطبيقيٌّ تناولتُ فيه الظّاهرةَ البلاغيّةَ في نماذج من شعر أبي تمّام. واخترتُ شعرَ هذا الشّاعر لأسبابٍ، أذكرُها في طَيّاتِ هذا البحث.

الفصل الأوّل: الإيجاز:

الإيجازُ: لونٌ من ألوانِ علم المعاني، ويتجلى في وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح[1]. وعند السَّكّاكي هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط[2]، وهذا اللون البلاغي شريفٌ عالٍ لا يكاد يحسنه إلَّا فرسان البلاغة، وذلك لعظيم منزلته، ووعورة مسلكه، ويقسم إلى قسمين: أولهما: إيجاز القصر، والثَّاني: إيجاز الحذف.

أولاً: إيجاز القصر:

لغةً: القَصْرُ، والقِصَرُ فِي كلِّ شيءٍ خلافُ الطُّولِ[3]، وقصرت الشيء على كذا إذا لم تجاوز به إلى غيره[4]، والقَصْرُ الغاية، واقتَصَرَ على كذا أي قنع به، وتقاصَرْتُ عن الشَّيء إذا لم أبلغه على عمد[5].

اصطلاحاً: إيجاز القصر: تقليل الألفاظ وتكثير المعاني[6]، ويسمَّى إيجاز البلاغة، ومنه قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} (البقرة: 179)، فإنَّه لا حذف فيه، مع أنَّ معناه كثير يزيد على لفظه؛ لأنّ المراد به أنّ الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِل كان ذلك داعياً له قويّاً إلى أن لا يُقدم على

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، الطبعة الثانية عشرة، 222.

(2) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكَّاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ)، علَّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، الطّبعة: الثانية، 1407 هـ – 1987م، 277.

(3) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، 95/5.

(4) الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الرابعة 1407 هـ – 1987 م، 794/2.

(5) كتاب العين، أبو عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصريّ (المتوفى: 170هـ)، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال، 58/5.

(6) الصِّناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، عليّ محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة – بيروت، عام النَّشر: 1419 هـ، 169.

القتال، فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثيرٌ من قتل النّاس بعضهم لبعض، فكان ارتفاعُ القتل حياةً لهم[7].

ومنه قوله تعالى: {مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُه} [الروم: 44]، فهذه كلمة جامعة لما لا غايةَ وراءَه، ولا أمَدَ فوقَه من المَضارِّ؛ لأنَّ من ضارَّه كفره فقد أحاطت به كلُّ مضرَّة[8].

ومنه قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ} [الحجر: 94]، هي ثلاثُ كلمات تشتملُ على أمر الرِّسالة وشرائعِها وأحكامِها على الاستقصاء؛ لما في قوله «فاصدع» من الدَّلالة على التَّأثير، كتأثيرِ الصَّدع[9].

ثانياً: تعريف الحذف:

لغةً: حذَفَ الشيءَ: قَطَعَه مِنْ طَرَفه، والحُذافةُ مَا حُذِفَ مِنْ شَيْءٍ فَطُرِح، وحَذَفَه حَذْفاً: ضَرَبَهُ عَنْ جَانِبٍ أَو رَماه عَنْهُ[10]، وحذف الشَّيء إسقاطُه[11].

اصطلاحاً: الحَذْفُ: حَذف شيءٍ من العبارة لا يخلّ بالفهم، عند وجود ما يدلّ على المحذوف، من قرينة لفظية أو معنوية[12]، والمحذوف إمَّا جزءُ جملة، والمراد به ما ليس مستقلاً كالشَّرط وجوابه فضلة أو عمدة، أو جملة، والجملة ما كان مستقلاً، أو أكثر من جملة[13].

---

(7) الإيضاح في علوم البلاغة، محمّد بن عبد الرَّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدِّين القزوينيّ الشافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، تحقيق محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطّبعة: الثّالثة، 181/3.

(8) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشّيبانيّ، الجزريّ، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ)، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلميّ، عام النّشر: 1375هـ، 144.

(9) الصِّناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (المتوفى: نحو 395هـ)، علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة – بيروت، عام النَّشر: 1419 هـ، 176.

(10) لسان العرب، محمّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطّبعة: الثّالثة – 1414 هـ، 9/ 39.

(11) الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ الفارابيّ (المتوفى: 393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين – بيروت، 1407 هـ- 1987 م، 4/ 1341.

(12) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، الطبعة الثانية عشرة، 222.

والحذفُ ظاهرة كثيرُةُ الدَّوران في كتب العربيّة، تناولها النُّحاة وعلماءُ البلاغة والتّفسير وبابٌ واسع وأصلٌ راسخٌ من أصولِ العربيّة الّتي استنبطَها علماءُ اللّغة من كلام العرب، وخَرَّجوا عليها الكلام، ووجَّهوه بها، فالحذفُ ظاهرة شديدةُ الارتباط بالمستوى التّركيبيّ في الجملةِ العربيّة ودلالة الكلام، فلا يمكن فَهم الكلام إلّا بمعرفة المحذوف وموضِع حذفه، ومن ثَمَّ تقديره وإعادته إلى موضِعِه الّذي تقتضيه قوانين العربيّة ونِظامُ جملتِها.

وللحذف عند علماء البلاغة وجهٌ واحد، وهو الذي إذا عوضه الذكر فسد الكلام، يقول ابن الأثير: "أمَّا الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر شبيه بالسحر، وذاك أنَّك ترى فيه ترك الذِّكر أفصحَ من الذِّكر، والصَّمتَ عن الإفادة أزيدُ للإفادة، وتجدُكُ أنطقَ ما تكون إذا لم تنطِق، وأتمَّ ما تكون مبيّناً إذا لم تُبِنْ"[14].

ويرى بعضُهم للحذف نوعاً آخر، وهو الذي يقتضيه التَّدقيق اللُّغويُّ، أو الّذي يولِّدُه الخطأ النَّحويُّ إيفاءً بحقِّ الوزنِ في الشِّعر، وغير ذلك من المقتضيات الصوتيّة الجماليّة، فهذا الحذف إذا عوَّضه الذِّكر استقامَ الكلامُ نحويّاً أكثر، وربّما زال معه خطأٌ، ولم يتغيَّر به معنى[15].

وقد جمع ابنُ الأثير المحاسن كلَّها وصبَّها في إيجاز الحذف، وجعل الحذفَ أَولى من الذِّكر وأفصح، وكأنَّ الذِّكر ينزل بمستوى البلاغة والفصاحة؛ يقول: "ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنّه متى أُظهر صار الكلامُ إلى شيءٍ غثٍّ، لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطّلاوة والحُسْن"[16].

وأشار إلى أنَّ هذا الحذف المحمود ليس هو الّذي يكون من باب الغرابة والغموض، بل لا بدَّ في الكلام من قرينة تدلُّ على المحذوف بوجهٍ من الوجوه؛ يقول: "والأصل في المحذوفات جميعِها على

---

(13) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة، 184،185/3.

(14) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، 221/2.

(15) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المطبعة الرسمية للجمهورية الأردنية، 1981م، 303.

(16) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، 221/2.

اختلاف ضُروبها أن يكون في الكلام ما يدلُّ على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليلٌ على المحذوف فإنَّه لَغْوٌ من الحديث، لا يجوز بوجهٍ، ولا سبب"[17].

ويقول عبد القاهر الجرجاني في فضل الحذف: "هو بابٌ دقيق المسلك لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر شبيهٌ بالسحر؛ فإنّك ترى به ترك الذِّكر أفصحَ من الذّكر، والصَّمت عن الإفادة أزيدُ للإفادة، وتجدُكَ أنطقَ ما تكون إذا لم تنطِقْ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ"[18].

وإن اختلفت تعريفات العلماء السّابقين للحذف وصياغاتُهم في بيان دورِهِ وأهميّته في الكلام، فإنَّها يجمعُهُ أنَّ الحذف ضَربٌ من ضُروبِ البلاغة وأَمارةٌ من أمارات الكلام البليغ، وأنَّ بلاغةَ الحذفِ تتأتّى من كونِه اختصارٌ للكلام مع تأديةِ معانٍ كثيرة، وهذا أصل البلاغة وأساسها المكين، فما البلاغة عندهم إلّا الإيجاز، والحذف إيجاز؛ لأنّه تقليلٌ للألفاظ مع بقاء المعاني الدّالّةِ عليها؛ لأنَّ المحذوفات مُقَدَّرةٌ في الذِهن، وإن زالت من اللّفظ، فالمعاني إنّما تُدركُ بالأذهان.

ثالثاً: أنواع المحذوف[19]:

كان من الأصول الّتي بنى عليها النّحاةُ قواعدهم باستقرائها من كلام العرب أنَّ الكلام العربيّ عمدةٌ – لا يقوم الكلام إلّا بها – وفَضلةٌ تأتي في الكلام للتّقييد والتّوضيح وزيادة البيان وتفصيلِ الكلام عند حاجة المتكلِّم إلى مثلِ هذا التّفصيلُ والعمدة عندهم هي ركنا الجملة.

وتعدّدت مصطلحاتِهم في ركنَي الجملة غير أنَّ أكثرَها شيوعاً عند النّحاة والبلاغيّين أيضاً: المسنَد والمُسندُ إليه.

وبعد أنْ أصَّل النُحاةُ هذا الأصل، صاروا يردُّونَ كلَّ كلامٍ إليه، فإذا استغنى المتكلِّم عن أحدِ طَرفَي الإسناد قَدَّروا المحذوف، وبيَّنوا موضِعَه، وعلى هذا جرى البلاغيّون؛ لأنَّ الصّلة وثيقةٌ بين عِلْمَي

(17) المصدر السابق، 222/2.

(18) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ – 1992م، 146/1.

(19) التقسيم مستفاد من كتاب: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، الطبعة الثانية عشرة، 224، 225.

النَحو وعلم المعاني الّذي هو أحد علوم البلاغة الثّلاثة، لكنَّ الفرق أنَّ عمل النّحويّ لا يتعدَّى تقدير ذلك المحذوف الّذي يكتمِلُ به الإسناد، وأمّا البلاغيّ فله غايةٌ أخرى، هي بيان ما لهذا الحذف والاستغناء الواقع في الكلام من دلالة على البلاغة وما له من أثرٍ جماليّ أو فَنّيّ، فبيان مواطن الجمال وتذوُّق النّصوص غايةٌ من غايات علم البلاغة.

غيرَ أنَّ النُّحاةَ وعلماءَ المعاني لم يقتصروا في تتبُّع أنواع الحذف على حذف طرفَي الإسناد، إنّما توسَّعوا في استقصاء هذه المحذوفات في أركان الجملة الأساسيّة وفي قيُودِها ومتمِّماتِها، فلم يتركوا موضعاً من مواضعِ الحذفِ أو نوعاً من أنواعِهِ في كلام العربِ إلّا ذكروه، وضَرَبوا أمثلةً له، كحذف الحروف أو الأدوات والمفردات والتّراكيب والتّوابع.

وفيما يلي أمثلةٌ ونماذج لهذه المحذوفات:

1. **حذف الحرف:** قد يحذف حرفُ النِّداء، أو حرف العطف[20]، أو حرف النّفي أو النَّهي، وغير ذلك، ومن ذلك إسقاط «لا» من الكلام في قوله تعالى: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا} [النساء: 176]

أي: لأن لا تضلّوا.

ولهذا الحذفِ لطيفٌ ونكتةٌ بلاغيّة، فلعَلَّ حذفَ أداة النّفي هنا أفاد تحقُّق ضلالتهم، لو لم يُبيِّن الله لهم، فإسقاط حرف النّفي من الكلام وجّه الذّهن إلى معنى ثبوت الضّلالة في المعنى، فكان انتفاء ضلالتهم بفضل بيان الله لهم، ولولا هذا البيان لضَلّوا حقيقةً لا احتمالاً.

2. **حذف المُضاف:** يحذف المضاف، ويقوم المضاف إليه مقامَه، ويبقى معناه مراداً في الذِّهن، من ذلك قوله تعالى: {وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: 82]

أي: اسأل أهلَ القرية.

وبهذا الحذف تحقَّق مجاز مرسلٌ، علاقته المكانيّة أو المحلّيّة، ولطيفتُه أنَّه بإسقاط المُضاف وإسناد السّؤال إلى القرية – في ظاهر اللّفظ ومجازه لا في حقيقته – كأنّه جعلَ كلَّ ما في

(20) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، 257/2.

القرية شاهداً على ما يقولون، فكأنّ كلَّ ما في تلك القرية من النّاس والجماد وممّا يعقل ولا يعقل يشهد على ما قالوا، وفي هذا مزيد تأكيد لإقناع أبيهم بما يقولون.

3. **حذف المضاف إليه:** نحو قوله تعالى: وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} [الأعراف: 132]

أي: بعشر ليالٍ.

والحذف هنا اختصارٌ، والمذكور دلَّ على المحذوف؛ فذكر اللّيالي في { ثَلاَثِينَ لَيْلَةً} دَلَّ على أنَّ العشر هي ليالٍ أيضاً، ولو ذُكرت لكان ذلكَ ضربٌ من الحَشو، وتعالى كلام الله – عزَّ وجلَّ – عن ذلك، وهو الّذي تحدّى به أهلَ البلاغةِ وأرباب البيان أن يأتوا بسورةٍ من مثلِه.

4. **حذف الموصوف:** ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [الكهف: 88]؛ أي: وعَمِل عملاً صالحاً.

دلَّ الفعل على المفعول المطلق المحذوف، فالأهميّة لنوع العمل، وهو أن يكون صالحاً، لا لحَدَث العمل.

5. **حذف الصّفةً:** ومنه قوله تعالى: {وكان وراءَهم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينةٍ غصبا} [الكهف: 79].

أي: كلَّ سفينةٍ صالحة، فحذف الصّفة، وأبقى موصوفَها لدلالة السّياق والمقام عليها، ذلكَ أنَّ خرقَه للسّفينة، ثُمَّ تعليل هذا الفعل بأنَّ الملك يغتصِبُ السّفُن، دلَّ على أنّ الملك لا يأخذُ السُّفن الّتي فيها خَرْقٌ أو عيبٌ، ومفهوم هذا أنّه يأخذ السُّفُنَ الصّالحة.

6. **حذف الشّرط وأداته:** ومنه قوله تعالى: {فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ} [آل عمران: 131]

أي: فإن تتَّبعوني.

وهذا النّوع من الحذف كثيرٌ في كلام العرب، على مذهب من يرى أنَّ الواقع بعد الطّلب جوابٌ لشرطٍ محذوف لا جوابٌ للطّلب نفسه، وسوَّغَ هذا الحذف أنَّ الطّلب المذكور أغنى عن ذكر الشّرط، فكان عدمُ ذِكرِهِ أخصَرَ للكلام.

7. **حذف جواب الشّرط:** وقد يُحذف لمجرَّد الاختصار، كقوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [يس: 45]

أي: أعرضوا؛ بدليل قوله بعده: {إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِين} [يس: 46].

وقد يُحذف للدَّلالة على أنّه شيء لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السّامع كلَّ مذهب ممكن، فلا يَتَصوَّرُ مطلوباً أو مكروهاً إلّا يجوز أن يكون الأمر أعظمَ منه، ولو عيَّنَ شيء اقتصر عليه، وربما خفَّ أمره عنده[21]، كقوله: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: 73].

8. **حذف المسند:** {لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت :61]

أي: خلقهنَّ الله.

وما سوَّغَ هذا الحذف أنّه واقعٌ في جواب الاستفهام، فدلَّ المذكور في السّؤال على المحذوف في الجواب بمطابقة الذّهن بينهما.

9. **حذف المسند إليه:** كقوله تعالى: {حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ} [ص: 32]

أي: توارت الشَّمسُ فبدأت بالمغيب.

10. **حذف المُتعلّق:** {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}]الأنبياء: 23]

أي: هم يسألون عمّا يفعلون، فمتعلّقُ الفعلِ الأوَّلِ دلَّ على المحذوف المتَعَلّق بالفعل الثّاني، لما بينَ الجملتين من التّناسب.

11. **حذف الجملة:** {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} [البقرة: 213]

أي: فاختلفوا فبعث الله ...

وتقديرُ جملة محذوفة هنا لا بدَّ منه؛ لأنَّ حمل الكلام على ظاهره ممتنع، فالفاء في{فَبَعَثَ} للسّببيّة، ولو حملنا الكلام على ظاهره لكان بخلاف المعنى المُراد، فعلّة إرسال ليست كون النّاس أمّةً واحدة،

(21) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة، 3/188،187.

فاتّحاد النّاس حالة صلاحٍ وتآلفٍ وتوادٍ، وإرسال الرّسل إنّما يكون للإصلاح، فكان المقتضي لإرسالِهم هو اختلاف النّاس وتفرُّقهم وظهور التّنابُذ والتّناحر بينهم.

12. **حذف أكثر من جملة:** {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ..} [يوسف: 45]

أي: فأرسلوني إلى يوسف؛ لأستعبره الرُّؤيا، فأرسلوه، فأتاه، وقال له: يوسف.

وحذفُ هذه الجملةِ سرَّعَ إيقاعَ الزَّمن في القصّة القرآنيّة بالانتقال إلى مشهد حواريّ بين يوسف – عليه السَّلام – والرَّجلِ المُستَعبِر، وهو ما يُسمّى في فنِّ القصّة: الحذف والخلاصة.

الفصل الثَّاني:

أوّلاً: بلاغة أبي تمّام:

أبو تمّام هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ بن يحيى بن مروان بن مرّ بنِ سعد بنِ كاهل بنِ عمرو بنِ عَديّ بنِ عمرو بنِ الغَوث بنِ طيّئ[22].

وكانت ولادته سنة تسعين ومئة بجاسم[23]، وتُوفّي بالموصل في سنة إحدى وثلاثين ومئتين، وقيل: إنَّه توفّي في ذي القعدة[24].

قال أبو الفتح بن الأثير يصف أبا تمام: "أما أبو تمّام فربُّ معانٍ وصيقل ألباب وأذهان، وقد شُهِدَ له بكلِّ معنى مبتكر لم يَمشِ فيه على أثر، فهو غيرُ مُدافَع عن مقام الإغراب الذي يبرز فيه على الأضراب"[25]، وقد كان يحفظ أربعةَ آلاف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع[26].

---

(22) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أبو العبّاس شمس الدِّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خَلِّكان البرمكيّ الإربلي (ت 681هـ)، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 2/ 12.

(23) المصدر السّابق 2/ 17.

(24) المصدر السّابق 2/ 17.

(25) المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدّين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت 637هـ)، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفجالة – القاهرة، 13/1.

(26) شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، عبد الحيّ بن أحمد بن محمّد ابن العماد العَكريّ الحنبليّ، أبو الفلاح (ت 1089هـ)، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط 1، 1406 هـ – 1986م، 146/3.

وكان لأبي تمّام مذهبٌ في المطابق والمجانس اشتُهر به، ونُسب إليه، وعُرف به؛ لأنه فضل الشُّعراء جميعاً فيه، وأكثر منه، وسلك جميع شُعَبِه، فهو يغوص على المعاني العقلية غوصاً، ثمّ يرفعها إلى السّماء، ويُعمل فيها خياله البعيد، ويختار لها الألفاظ، ويُعنى ببديعِها وجناسِها، حتى أصبح مثار الجدل بين الأدباء والنّقاد في عصره، ذلك بأنه بالغ في سلوك هذه السبيل وأولع بها، حتى ليندر أن يخلو بيتٌ له **منه**، فأوقعه هذا الولوع في التعسف وارتكاب متن الشّطَط، ولكنَّ الذي لا شكَّ فيه أنَّ الجيِّد من شعره كثيرٌ، وأنَّه لا يُلحَقُ غبارُه في جيِّده[27].

وكان أبو تمّام رائدَ ظاهرةٍ فنيّة شعريّة متفرّدة استمدَّ عناصرَها من التُّراث الدِّينيّ والفلسفيّ والحركة الفكريّة والأحداث التّاريخيّة في عصرِه، وكان من المُجَدِّدين في عمود الشِّعر وصاحب تجربة شعريّة غنيّة، تعدَّدت فيها الأغراضُ والموضوعات كالمديح والعتاب والحكمة وتصوير المعارك، وأثار شعرُهُ حركةً نقديّة لم تنتهِ بوفاتِه، وكثرت المؤلَّفات الّتي تناولت مذهبَه الشِّعريّ، منها المصنَّفات في شروحِ ديوانه، كشروح المرزوقيّ والتِّبريزيّ والمعرّيّ والصُّوليّ؛ ومنها المُصنّفات الّتي صُنِّفت في تأييد مذهبِه الشِّعريّ وتجديده في عمود الشِّعر أو في الرَّدّ عليه وبيان مواطن الضّعف أو الخلل في شعره من وجهة نظر أصحاب هذه المُصنَّفات، مثل مؤلّفات الصّوليّ والآمديّ وابن الأثير، وظهرت كتب في البلاغة والإعجاز القرآنيّ، مثل مصنَّفات أبي هلال العسكريّ وابن المعتَزّ وقدامة بن جعفر وابن طَباطَبا العلَويّ، فكان شعرُ أبي تمّام مادّةً للتّمثيل للفنون البلاغيّة في هذه الكتب، فلم تخلُ من تعليقاتٍ أو أحكامٍ نقديّة تظهر فيها آراءُ أصحابِها ومواقفُهم من مذهب أبي تمّام.

ثانياً: بلاغة إيجاز القصر في شعر أبي تمّام:

وهذه مختارات من ديوان أبي تمّام تجلّى فيها إيجاز القصر، فقد أتى الشاعر بكلام هو في معناه بحرٌ فيّاض، ساقه بقدرته البلاغيّة بكلمات خِفافٍ معدودة، لا سيَّما أنَّ العربيَّ الأصيل كان دائماً يسعى إلى الإيجاز والاختصار، وإيصال مراده بأقلِّ الكلام.

1. لا خيرَ في قربى بغير مودةٍ ... ولربَّ منتفعٍ بودِّ أباعدِ

(27) الموازنة بين أبي تمّام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمديّ (ت 370 هـ)، المجلّد الأول والثّاني: تحقيق السّيّد أحمد صقر، دار المعارف، ط 4، 420/1، بتصرُّف.

تجلَّت بلاغة أبي تمام في إيجاز المعنى المراد إفهامه للسّامع، إذ يذكر أنَّ المودّة هي معيار الصّدق والقرابة، لا قرابة النَّسب، فإنك تجد أحدهم يصلح حاله بحبِّ غريب عنه، لكنَّه صاحب مودّة، وقد أوجز ذلك كلّه ببضع كلماتٍ، لا يخفى مراده فيها على أحد.

2. فلم يجتمعْ شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ... ولا المجدُ في كفِّ امرئٍ والدراهمُ

المعنى المراد: لكلِّ امرئ في هذه الحياة نصيب، فأحدهم يحظى بالمال وآخر بالعلم، وآخر بالنَّسب، ولن يجتمع ذلك كله لأحد، فارضَ بما كتب الله لك.

3. السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حَدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

هذا البيت مطلعُ قصيدة أبي تمّام في فتح عمورية، وقد استهلَّها بالمفاضلة بين الكتاب والسيف؛ رامزاً بالأول إلى المنجِّمين، وبالثّاني إلى القتال والحرب، وتناول في هذا الاستهلال عدّة معانٍ، منها: أنَّ السَّيف ينبِئُ عن الحقيقة، وهو الّذي يؤدِّي إلى الجِدِّ واليقين، وأمّا الكُتُب فتُخادع، وتبقي المرءَ بين الظَّنِّ والتَّصديق والجِدِّ واللَّعِب، كما أنَّ الواقع كذَّب المنجِّمين الّذين نصحوا المعتصم بأن يرجِئَ زحفَه، فقد حاصر المدينة، وقضى على أهلها فتَبَيَّنَ أن القوّة تُخرِس وتُدحض.

4. حتّى كأنّ عدوَّهم من صبرهم وجلالهم حسب المصيبة أنعما

قال سهل بن هارون لرجلٍ عزَّاه: "إنّه لن تبعد مصيبةٌ أن تحلَّ محلَّ نعمةٍ إذا سُلِّم لأمر الله فيها، ولن تبعد نعمةٌ أن تحلّ محلَّ مصيبة إذا ضُيِّع شكر الله عليها"، أخذ أبو تمام هذا المعنى العميق وصاغه بألفاظٍ عذبةٍ سهلة في هذا البيت، وفيه ما فيه من الإيجاز وحسن البيان[28].

ثالثاً: بلاغة إيجاز الحذف في شعر أبي تمام:

وهذه مختارات من ديوان أبي تمّام تجلَّى فيها إيجاز الحذف، حيث حذف الشَّاعر جملةً أو بعض جملة في موضع كان الحذف فيه أولى من الذكر، وأعلى فصاحةً وبلاغةً، وهو في ذلك يسعى للتخلص من الثقل، أو يقصد الإبهام على السامع، أو تحقير المحذوف أو تشريفه عن الذكر، أو تراه يحفِّز السامع ويلفت انتباهه ليُعمل عقله في المحذوف، من ذلك:

(28) المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (ت 382هـ)، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1984م، 212.

1. ما رَبعُ مَيَّةَ مَعموراً يُطيفُ بِهِ غَيلانُ أَبهى رُبًى مِن رَبعِها الخَرِبِ

في هذا البيت حذفٌ يدلُّ عليه المعنى، فكأن المعنى: ما ربع مية في نفس غيلان أبهى من هذا الربع الخَرِب في أعين المسلمين[29].

2. قَتَلتهُ سِرًّا ثُمَّ قالَت جَهرَةً قَولَ الفَرَزدَقِ لا بِظَبيٍ أَعفَرِ

يقول الفرزدق: أَقولُ لَهُ لَمّا أَتاني نَعِيُّهُ بِهِ لا بِظَبيٍ بِالصَّريمَةِ أَعفَرا[30]

فقد حذف أبو تمام عدة جمل من بيت الفرزدق واكتفى بقوله: لا بظبيٍ أعفرِ.

3. هَذا إِلى قِدَمِ الذِّمامِ بِكَ الَّذي لَو أَنَّهُ وَلَدٌ لَكانَ وَصيفا

ويعمد أبو تمام كثيراً إلى حذف المسند والمسند إليه معاً من الجملة الفعليّة، ويقتصر على المفعول به، ويجعله مطلعاً يبتدئ به البيت، كما في هذا البيت، "هذا" في موضع نصب بفعل مضمر؛ كأنه قال: أذكر هذا الشيء أو أعُدُّه، أو نحو ذلك من المضمرات[31].

4. وَالفَتى مَن تَعَرَّقَتهُ اللَّيالي وَالفَيافي كَالحَيَّةِ النَّضناضِ

في هذا البيت حذفت الصفة، فالفتى: كلام محمول على حذف، كأنّه قال: الفتى المحمود[32].

5. خليفةَ الله جازى الله سعيكَ عن جرثومةِ الدين والإسلام والحسبِ

في هذا البيت حذف حرف النداء، وهذا أسلوب شائع في شعر أبي تمام، وهو من خصائص المطالع، فأكثر ما كان منه في صدر البيت، بحيث يتنزَّلُ المنادى بعد الحذف في صدارة البيت، فيبرز بذلك لفظه ويقوى به معناه، وينحصر فيه الاهتمام، وكأنّه يقتصر على ذكر المنادى دون حرف النّداء لأن الحال الشعريّة لا تسمح له بالاحتفاظ بكامل ملكاته ولا بكامل عناصر التركيب.

10.لا زالَ جودُكَ يَخشى البخلُ صَولَتَهُ وَزالَ عودُكَ تَسقي رَوضَهُ الدِيَمُ

---

(29) ينظر ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمّد عبده عزّام، دار المعارف، ط 4، 57/1.

(30) ينظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، 451/4

(31) ويجوز أن يكون في موضع رفع، ويكون المعنى: هذا الذي أذكره إلى قِدَم الذمام أو معه، فيكون هذا: مبتدأ، والخبر قوله: إلى قدم الزمام، ينظر: شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمّام دراسة نحويّة صرفيّة، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، رسالة ماجستير – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، بإشراف د محمد جمال صقر، 2012 م، 367.

(32) ينظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، 310/2.

حذف الشاعر "لا" في قوله: وزَال عودك؛ لأنه أراد: ولا زال عودك؛ وحذفها في هذا الموضع قليل، وإنما كثر في القسم(33).

11. فَما أَبقَيتَ لِلسَّيفِ اليَماني شَجًا فيهِم وَلا الرُّمحِ الرُّدَيني

حذف الشاعر حرف الجر في المعطوف، المراد: فما أبقيت للسيف ولا أبقيت للرمح.

12. هيَ البدْرُ يُغنِيهاَ تَوَدُّدُ وَجْهِهاَ إلى كُلِّ من لاقَتْ وَإِنْ لم تَوَدَّدِ

حذف الشاعر جواب الشرط، وهو مفهوم ومعلوم من السياق، أي: وإن لم تودد يغنها.

الخاتمة:

اللغة العربية لغة بلاغة وفصاحة وإيجاز، وظاهرة الحذف هي إحدى الظّواهر اللّغويّة التي تشترك فيها اللّغات الإنسانيّة عامّةً، لكنّها في اللّغة العربيّة أكثر ثباتاً ووضوحاً؛ لأنَّ من خصائص العربيّة الأصيلة الميلَ إلى الإيجاز، وبعد النَّظر في المختارات من شعر أبي تمام – التي هي غيض من فيض – أرى هذه المختارات انحسرت عن قدرة أبي تمام العجيبة على سبك الألفاظ وسلاسة الأسلوب وتمتُّعه بالحسّ البلاغيّ المرهف، وموهبته في صبِّ المعاني العظيمة بقوالب بسيطة، فقد كاد شعره أن يكون حكماً، كما أظهرت إمكانية تزامن الفكر والفنِّ من خلال تلازم الفكرة والصّورة وامتزاج الشّعور بالوعي، وقد وظف الشّاعر ألوان البلاغة توظيفاً أدائيّاً بديعاً، وعُني بأن يؤدِّي في القصيدة دوراً يخدم المعنى والغرض والبناء؛ فضلًا عن جماليّاته الشّكليّة، والشّعر في حال كهذه ينبغي النّظر إليه بوصفه عملاً واعياً، وصنعة إبداعيّة.

وقد رسم أبو تمّام صورة العربيّ الأصيل في شعره هذا، فالإيجاز هو مراد العربيّ الفصيح، وأسلوبه الذي يتفنَّن فيه، ولا يكاد يفارقه.

(33) ينظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، 247/3.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: 335هـ)، عدد الأجزاء: 1.
3. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: 3.
4. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ)، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ، عدد الأجزاء: 1.
5. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، ضبط وتدقيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، عدد الأجزاء: 1.
6. خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المطبعة الرسمية للجمهورية الأردنية، 1981م.
7. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الثالثة 1413هـ – 1992م، عدد الأجزاء: 1.
8. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، الطبعة الرابعة.
9. ديوان أبي تمام الطائي، حبيب بن أوس المتوفى 231هـ، وقف على طبعه محيي الدين الخياط، طبع مرخصاً من نظارة المعارف العمومية الجليلة.
10. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1986 م، عدد الأجزاء: 11.

11. شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، رسالة ماجستير – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، بإشراف: د محمد جمال صقر، 2012م، عدد الأجزاء: 1.
12. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987م، عدد الأجزاء:6.
13. الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: 1419 هـ، عدد الأجزاء:1.
14. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8.
15. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15.
16. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، عدد الأجزاء:4.
17. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ)، علق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ – 1987م، عدد الأجزاء:1.
18. المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (المتوفى: 382هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة: الثانية، 1984 م، عدد الأجزاء: 1.

19. الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى: 370 هـ)، المجلد الأول والثاني: تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف – الطبعة الرابعة، عدد الأجزاء: 3.
20. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، إحسان عباس، دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: 7.